

الفكر والفن في الجبوع

أصول الأدب العربي :

أشرنا في عدد سابق من « الرسالة » إلى الجهد الشكور الذي يبذله الأستاذ وديع البستاني في البحث عن أصول الفلسفة الهندية وآداب الهند ، وأشدنا بهمة في نقل تلك الآثار الخالدة إلى اللغة العربية بمد أن وفر جهده على دراستها أربعين عاماً أو تزيد .

وقد جاء في الأنباء البرقية أن الأستاذ وديع آثم فعلاً نقل الملاحم الهندية القديمة إلى اللغة العربية ، وهي « الرامايانا » و « المهابهاراتا » و « النالادامايانتي » و « الشاكونتالا » ، كما أنه ألف كتاباً خامساً عن الأساطير الهندية القديمة ...

و « الرامايانا » و « المهابهاراتا » ملحمتان كالآلياذة ، والأوديسة ، فوضوعهما تصرفات الآلهة وقصص الأبطال ، وتمتبر « الرامايانا » أهم من « المهابهاراتا » ، كالآلياذة بالنسبة للأوديسة أما « النالادامايانتي » فإنها إحدى القصص الخمس التي تتألف منها « المهابهاراتا » ، وأما « الشاكونتالا » فإنها قصة عتيقة من النوع الدراي . ولكنها تعتبر حديثة بالنسبة لمابقتها ، إذ وضعها الشاعر « كالنياسا » في أواخر القرن الثالث للميلاد . ويقول الباحثون في الأدب المقارن إن « الرامايانا » تشبه الآلياذة إلى حد كبير ، بل إنها تشبهها تمام التشابه ، فإن الهندوس ينسبون وضعها إلى شاعر قديم يدعى « فاليكى » ولكن حياة هذا الشاعر غير محققة ، وإن البحث الحديث يشك في وجوده كما

يشك في وجود هوميروس ، وإذا كانت الآلياذة قد صورت آلهة اليونان مجتمعة بقعة الأرب ، فإن الرامايانا كذلك صورت مبعودات الهند مجتمعة في قبة جبل ميرو ، وتنسب الآلياذة إلى المبعودات اليونانية أنها كانت تتغذى بماء الخلود ، وكذلك تنسب الرامايانا إلى المبعودات الهندية أنها كانت تشرب ماء العنبرية أى ماء الحن الذى يضمن لهم الحياة الباقية ، وفي الآلياذة يقف « جويتر » أبو المبعودات اليونانية وفي يده الصاعقة ليرسلها على المقضوب عليهم من الضالين ، وكذلك في الرامايانا يقف « أندرا » شيخ مبعودات الهند وفي يده هذه الصاعقة ، ولكن الهندوس يصورون مبعودهم الكبير في وضع مهيب إذ يمثلونه بثوب أزرق مرصع بعيون كثيرة متكئاً على قوس قزح ومن حوله الحور العين ، وكلهم بهنه الصورة يرمزون إلى السماء .

وكذلك نجد على وجه الموم مشابهة كثيرة بين الملاحم الهندية والملاحم اليونانية في تصوير الآله والأبطال ، « ففينوس » الجميلة المعبودة عند اليونان تقابلها المعبودة « لكى » عند الهندوس ومن الغريب أن كليهما قد خلقت من زبد البحر ، و « أبولون » إله الوحى والشعر والفنون يقابله « كريشنا » و « إيروس » إله الحب يقابله « كاما » وهكذا نجد لكل إله أو بطل مقابلاً في مثل وضعه ووصفه .

وقد يؤدي هذا إلى الاعتقاد بوجود صلة بين الأديين ، والواقع أن الباحثين في الأدب المقارن لم يستطيعوا أن يصلوا إلى نتيجة حاسمة في هذا الشأن لأن الملاحم الهندية وضمت في القرن التاسع قبل الميلاد ، وهو الزمن الذى وضمت فيه الملاحم اليونانية فلم تعرف أسبقية لأيهما بمد ، كما لم نكشف صلة في ذلك الزمن بين الهندوس واليونان ، ولا شك أن عناية الأستاذ وديع البستاني بنقل تلك الملاحم الهندية إلى اللغة العربية سيعين على كشف هذه الحقيقة ؛ ولا شك أنه بهذا الجهد الجبار يؤدي خدمة جليلة للأدب العربية ، بل للأدب العالمية ، وإنها لخدمة تزيد في التقدير والاعتبار عن تلك الخدمة السابقة التى نهض بها عمه الشيخ سليمان البستاني بترجمة الآلياذة إلى العربية ، لأن الآلياذة كانت قد نقلت إلى كثير من اللغات الحية في العصر الحديث . أما الملاحم الهندية فإنها لا تزال بلغتها الهندية القديمة .

على أننا في هذا المقام نذكر باحثاً فاضلاً بكل خير وهو المنفور له صالح جودت بك ، فقد نقل إلى العربية عام ١٩١٢

وما عودتى في العيش نايًا فكيف وقد رحلت بلا إياب !
ذهبت شهيدة للقاء رب كريم الأجر مرجو الثواب
سجلت على يديك كتاب طهر وعفة خاطر ، وثق شباب
رحلت وأنت باسمه رضاء وما خلفت لي إلا اكتئاب
سأمضى بمد موتك في حياتي كما يمضى المنابر في الضباب
خلت من كل سلوان وشاهت وقد ضاقت بأحزاني رجاى ...
مسى لامل الصبر في

وفلسطين وغيرها من الأقطار العربية الإسلامية ، فإن كثيراً من مصادر التاريخ الإسلامي وعوالم الإمبراطورية الإسلامية لا تزال مطبوعة بمجولة ، ولا يزال المؤرخون في العصر الحديث يجدون في معالجة هذه الموضوعات مشقة بالغة .

ومما يذكر بهذه المناسبة أن نهضة مماثلة لهذه النهضة الدمشقية كانت قد قامت في مصر ، وكان لدينا طبقة من العلماء الباحثين الذين يمتنون بهذه النواحي ، ولكن هذه النهضة ركبت بل وقفت فجأة في منتصف الطريق ، حتى إن كتاب مسالك الأبصار الذي حقق المنفور له أحمد زكي باشا الجزء الأول منه وأخرجه منذ ثلاثين عاماً لم يطبع منه أي جزء آخر للآن ، بل لقد أهمل أمر هذا السفر العظيم وأصبح في خبركان .

ولعل عاصمة من العواصم الإسلامية القديمة لم تجد من عناية المؤرخين بتاريخها وخططها وتطوراتها مثل ما وجدت القاهرة ، ولكن مما يدعو إلى الأسف أن لا نجد بين أيدينا من ذلك إلا خطط القرزي في القديم وخطط على باشا مبارك في الحديث ، على حين أن هناك عشرات الكتب الهائلة لا تزال مطبوعة بمجولة فهل يمكن أن تتعاون دار الكتب المصرية ودار الآثار العربية على اخراج هذه الآثار ؟

آملنا :

ومن أبناء دمشق أيضاً أن رئيس البعثة الفرنسية التي كانت تقوم بأعمال الحفر والتنقيب في منطقة رأس شمر باللاذقية قد نقل جميع ما عثر عليه من اللوحات الأثرية القيمة إلى فرنسا ولم يسلم للحكومة السورية منها شيئاً مع أن هذا يخالف نص الاتفاق الذي عقد بين الحكومة السورية والبعثة الفرنسية والذي يقضي باقتسام ما يثر عليه من الآثار مناصفة بين الفريقين ، وقد كتب محافظ اللاذقية إلى حكومته يقول إن رئيس البعثة يأبى أن يسلم شيئاً من الآثار التي عثر عليها بحجة أنه نقلها إلى فرنسا ليقوم بدراستها وفك رموزها ، ثم يهيب بالحكومة أن تقاضيه لأخذ نصيبها من هذه الآثار .

وهذه القصة في الواقع هي قصة جميع الآثار التاريخية لأقطار الشرق ، تلك الآثار الغالية التي سرقت تحت أبصارنا وأسماعنا وغمرت بها المتاحف الأوروبية ، على حين خلت منها متاحفنا ومكتباتنا وأصبحنا لا نستطيع تصحيح تاريخنا إلا إذا شددنا إليها الرجال أو تفضل مستشرق فقهم إلينا من دلائلها ما يريد هو لا ما نريد نحن .

« الجاهل »

قصة من تلك الملاحم الهندية وقدم لها بمقدمة أشاد فيها بالآداب الهندية القديمة وأشار إلى ما فيها من مظاهر لا تقل عما هو ملحوظ في آداب اليونان .

انحطاط المجلات المصرية :

بهذا العنوان كتبت مجلة « عالم الغد » المراقية كلمة قالت فيها : « يثمر العراق سيل لا ينقطع من المجلات المصرية الأسبوعية المصورة الرخيصة ، وهي ملأى بالميوعة والحلاوة والعامية وسوء الأدب وليس فيها إلا الأدب الرخيص الذي يتنافى وعاداتنا وتقاليدها ويتنافى ونهضتنا التي يجب أن تقوم على أسس ثقافية متينة وتستند إلى دعائم خلقية قوية ، ولو كانت هذه المجلات تباع بالآلاف لفضضنا الطرف عنها ولكنها تباع بالآلاف وتتسلل إلى كل بيت ويقرؤها كل شاب وتصفحها كل فتاة فلانستطيع إذن أن نتجاهل تأثيرها في أخلاق الناس ومستقبل الثقافة » .

« ولقد ارتفعت الشكوى من هذه المجلات في مصر والعراق لأنها أخذت تتسابق في دعارتها ... وتتفنن في إثارة شهوات المراهقين بما ترضه من صور خليعة نابية ، وما تشر من أقاصيص مكشوفة بعيدة عن كل ذوق سليم ، ونحن لا نمترض على نشر الصور الفنية ، وإعما نمارض في نشر الصور الخليعة التي لا ترمي إلى غاية ثقافية وخلقية ، فلي مديرية الدعاية العامة واجب عظيم وهو مراقبة هذه المجلات مراقبة دقيقة والحيلولة دون تسربها إلى أسواق العراق محافظة على الثقافة الصحيحة والآداب العامة » . هذا ما كتبه تلك المجلة الثقافية المراقية ، نشرناه بنصفه وحروفه ، وإن كنا قد حذفنا منه أسماء المجلات التي عينتها وعنتها بالحديث ، ونحن نشر هذا الكلام من غير تعليق ، وكل ما نرجو أن نكون بصيرين على أنفسنا قبل أن يبصرنا غيرنا بأمورنا ، وماذا يكون موقفنا إذا واجهتنا مديرية الدعاية في العراق بمنع دخول تلك المجلات المصرية إلى العراق بحجة أنها تنسب إلى الأخلاق ؟

تاريخ دمشق :

من أبناء دمشق أن مصلحة الآثار هناك اتخذت خطة للعناية بالآثار الإسلامية ، ورأت في ذلك أن تذيب نشرات دورية للتعريف بأهم تلك الآثار وأن تقوم بطبع الكتب المخطوطة القيمة التي تؤرخ دمشق وتحدث عن خططها .

وهذه نهضة طيبة ووجهة حميدة نرجو أن تستمر في طريقها كما نرجو أن تسارها نهضات مماثلة في مصر والعراق ولبنان